



لعل أهم تجربة تفاوضية حديثة تخص العالم العربي والإسلامي مع الاتحاد السوفيتي ووريثته اليوم روسيا هي المفاوضات إبان فترة الجهاد الأفغاني، وتحديداً ما يختص بدور الأمم المتحدة في الوساطة، ثم الانقلاب العسكري الذي أطاح بمشروع موسكو بعد انسحابها من كابل وتخليها عن رفاق الأمس الشيوعيين، وفي ظل ما تعانيه الثورة السورية من تأمر عالمي غير مسبوق تشتراك فيه بعض القوى العربية والعالمية والإقليمية، ومعها منظمات دولية، وصل إلى حد تقديم هذه المنظمات لأطعمة فاسدة للمحاصرين السوريين، كل هذا يُحتم علينا سبر أغوار تلك المرحلة المهمة التي قد تساعد على فهم بعض ما يجري اليوم، أو على الانتفاع بدروسه السلبية والإيجابية لترشيد المرحلة الراهنة والقادمة.

سعت روسيا على مدى سنوات الوساطة الدولية في أفغانستان إلى النأي بنفسها عن هذه المفاوضات والاكتفاء بالتفاوض المباشر مع الأميركيين فيما يتعلق بوجودهم في أفغانستان، وكان النظام الشيوعي العميل يتفاوض مع باكستان من خلال ما سُمي بـ«دبلوماسية الغرف المجاورة» وليس من خلال لقاءات مباشرة، وإنما يجلس المفاوضون الباكستاني والأفغاني في غرف مجاورة، بينما يتولى الوسيط الدولي الانتقال بينها، وظل الأمر على هذا الحال إلى أن قرب الرحيل السوفيتي عن أفغانستان فاستعد الروس لاستضافة زعيم الجمعية الإسلامية يومها برهان الدين رباني، والذي توج على ما يبدو برحيلهم عن أفغانستان مقابل تنسيق وتعاون قوات قائد الشهير أحمد شاه مسعود بدخول العاصمة الأفغانية كابل مع فلول الشيوعيين.

كان العنوان العريض لتعاطي موسكو مع الوساطة الأممية في أفغانستان هو تفضيلها لخيار مفاوضات الأبواب المغلقة بعيداً عن الأضواء، مع توظيف الوساطة الدولية ومفاوضات الأمم المتحدة كمقابل دخانية للتعتيم على ما يجري خلف الكواليس وهو ما جرى في اتفاق أوسلو تماماً، اليوم تطرح روسيا قائمة بأسماء مرشحيها للحكومة الانتقالية في الشام، ومن بين أسماء القائمة الشيخ معاذ الخطيب والإخواني محمد فاروق طيفور الذي يفتقر حتى إلى دعم تنظيمه بسبب حالة البرود بينهما، وبالتالي فإن روسيا استفادت تماماً من الدرس الأفغاني في الاعتماد على شخصيات لها اسمها ولكن ليس لها رسم على أرض الواقع كما كان حال القائد الأفغاني أحمد شاه مسعود حيث انقلب على فلول الشيوعيين بعد أن استخدمهم في دخول كابل ومواجهة خصومه من الجهاديين.

الهدف الروسي من القائمة اليوم ومن كل ما يجري هو الإيقاع بالمعارضة، والتشويش عليها، بينما على أرض الواقع تسير الاستراتيجية الغزوئية الروسية بحرق الأخضر قبل اليابس، ومع استمرار هذه الاستراتيجية يستمر استنزاف ما تبقى من رصيد القوى التي تسعى روسيا لتحسينها عليها، لاسيما في ظل صمت هذه القوى عن هذا الترشيح، أو عدم تسمية الأمور بأسمائها من أن ما تقوم به روسيا هو عداوة وغزو وإجرام بحق الشعب السوري، وبالتالي الدعوة والمطالبة برحيله قبل رحيل النظام السوري، فبقاء الأخير مرهون بهذا العداون الإجرامي.

مثل هذه الدعوة المصرحة على وقف ورحيل العدواني الإيراني والروسي من الشام سيحضر عدة عصافير بحجر واحد، فهو يكشف مدى عمالة النظام الواقعة في الاعتماد على الآخرين من أجل البقاء في السلطة، ويُظهر وطنية المقاومة والثورة، وبالتالي من لا يزال في المنطقة الرمادية من الشعب السوري، سيحسم أمره، وهو ما سيضع روسيا أمام ضغوطات دولية وإسلامية وعربية كبيرة.

نقطة مهمة ينبغي التعلم منها في أفغانستان، وهي أن قوة الحزب الإسلامي الذي كان يشكل بحسب الحسابات الأميركية والغربية بشكل عام أكثر من 40% من ثقل الجماعات الجهادية الأفغانية المقاتلة للسوفيت والشيوعيين الأفغان، في تلك الفترة رفع شعاره العملي على الأرض «من أشد منا قوة» فكان أن حيد كل القوى الجهادية الأخرى وسعى إلى فرض نفسه على الواقع فاصطدم بواقع أفريقي يسعى إلى الانتقال من مرحلة الحرب إلى السلم، واصطدم مع كل القوى الجهادية الأخرى بالإضافة إلى القوى العالمية التي ترفضه وتلطفه.

اليوم يتكرر هذا الأمر مع القوى الجهادية السورية المخلصة، ففي الوقت الذي تعد الدول قوائمه بأسماء مرشحيها للمرحلة الانتقالية ويستعد الغرب والشرق لقطف ثمار معاناة أكبر ثورة في تاريخ البشرية هي ثورة الشام، تجد المخلصين من هذه القوى سادرين في غيهم راضين أن يخفضوا جناحهم لإخوانهم، رافعين شعاراً عملياً وواقعاً على الأرض «من أشد منا قوة» متناسين حجم التآمر العالمي الكوني على الشام والذي هو أضعف ما تعرض له الشعب الأفغاني أولاً، وثانياً متناسين أن المؤامرة أرهقت الشعب السوري بأضعاف ما أرهقت من قبله الشعب الأفغاني.

التاريخ لن يرحم كل فصيل تواني وقصير في السير نحو الوحدة والتنسيق وتشكيل غرفة عمليات مشتركة لمواجهة التآمر العسكري والسياسي العالمي على الثورة الشامية، ولن يستعد هؤلاء كلهم ليوم يعود فيه شهداء الثورة السورية ليشهدوا على صدق أو كذب تلك الفصائل التي كرمتهم بتحقيق أحلامهم، أو بخذلانهم وخذلان أحلامهم، وتلك قصة سأعود إليها في مقال قريباً بإذن الله.

[العرب القطرية](#)

[المصادر:](#)